

التفريق بين الرأي وصاحب الرأي



الحوار العلمي الصحيح هو الذي يعالج الأفكار المطروحة ويزنها بميزان الحقّ بعض النظر عن قائلها، أما ربط الفكرة بصاحبها ورفضها وعدم قبولها، حتى ولو كانت صحيحة بسبب الاختلاف مع صاحبها، أو التعمق للفكرة والدفاع عنها حتى ولو كانت غير صحيحة بباعث الهوى والتعصب فإنّ هذا من الظلم وعدم الإنصاف. بل إنّ هذا الأمر يذكرنا بموقف اليهود - وهم قوم بهت - من عبداً بن سلام (رض)، عندما أسلم، حيث تذكر كتب السيرة، أنّ عبداً بن سلام عندما أراد أن يسلم ذهب إلى رسول الله (ص) فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

ثم قال: (يا رسول الله، إنّ يهود قوم بهت وإنّهم إن يعلموا بإسلامي ييهتونني عندك، فأرسل إليهم فاسألكم عن أي رجل ابن سلام فيكم. فأرسل إليهم فقال: أي رجل ابن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وعالمنا وابن عالمنا وأفقهنا وابن أفقهنا.

قال: أرأيتم إن أسلم عبداً؟ قالوا: أعاده الله من ذلك.

قال: فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قالوا: شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا.

قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

والمتأمل في هذا الحوار يلاحظ أنّ اليهود ربطوا بين الفكرة وصاحبها، فعندما كان عبداً بن سلام على ملتهم امتدحوا نسبة وعلمه وفقهه، وعندما ظهر لهم إسلامه وإيمانه بما جاء به رسول الله (ص) طعنوا في نسبة وعلمه ونسبوه إلى الجهل وهذا هو البهتان المبين.

يضاف إلى ما سبق أنّ الهدف من الحوار هو إحقاق الحقّ وكشف الباطل، فإنّ ظهر الحقّ من الطرف

الآخر، فلابد من التسليم والأخذ به بغض النظر عن قائله، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها وهذا ما أرشدنا إليه رسول الله ﷺ (ص).

لَهُذَا نَجَدَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَنْصَفَ الْكُفَّارَ وَهُمْ أَعْدَاءُ إِلَّا، فَقَالَ تَعَالَى: (لَيَسْ سُوَاءٌ وَأَسَوَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّلُونَ آيَاتَ اللَّهِ أَزَاءٌ اللَّهُ يَعْلَمُ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آل عمران/ 113).

وقال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنْدَطَارٍ يُؤْدِيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْدِيْكَ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا...) (آل عمران/75). ولم يكتف القرآن بذلك بل أمر المؤمنين بالعدل مع الكفار، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوْا مَمْنُونَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِيْ مَنْكُمْ شَدَّانُ قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة/8).

قال ابن كثير - رحمة الله عليه -: (أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل حد صديقاً كان أو عدواً).

ومن صور الإنماض في السنة النبوية والتفريق بين الفكرة وصاحبها ما جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة (رض) قال: "وكلني رسول الله" (ص) بحفظ زكاة رمضان، فأتأني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: وأنت أرفعنك إلى رسول الله (ص) قال: إني محتاج وعلي عيال ولدي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت فقال النبي (ص): "يا أبو هريرة ما فعل أسييرك البارحة" قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنّه قد كذبك وسيعود...". وتكرر الأمر ثلاث ليال، ثم قال لأبي هريرة: "دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّهُوَ الْحَمْدُ لِلَّهِ يُبَارِكُ الْفَقِيرُونُ...) حتى تختتم الآية، فإنك لن يزال علىك من الله حافظ ولا يقرئك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله.

فلمَّا أَصْبَحَ أَبُو هَرِيْرَةَ أَخْبَرَ الرَّسُولَ (ص) بِمَا حَدَثَ مَعَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ (ص): "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذَّابٌ، تَعْلَمُ مِنْ تَخَاطُبِي مِنْذِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَا أَبَا هَرِيْرَةَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: ذَاكُ الشَّيْطَانُ، فَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهِنَّ لَأَبِي هَرِيْرَةَ أَنَّ مَا قَالَهُ الشَّيْطَانُ فِي فَضْلِ آيَةِ الْكَرْسِيِّ حَقٌّ وَصَوَابٌ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَصْدِرَهُذَا الْقَوْلُ هُوَ الشَّيْطَانُ.

وهكذا نلمس من خلال ما ذكر أن "الحق" أولى بالاتباع بغض النظر عن قائله، فالقرآن الكريم أنصف أهل الكتاب، مبيناً أنّ منهم طائفة أمناء بحيث لو أمنته على أموال كثيرة يؤدّها إليك، ومنهم من يخون الأمانة في أقل القليل. والرسول (ص) يؤكد لأبي هريرة صدق مقولة الشيطان في فضل آية الكرسي على الرغم من عداوته الشديدة للمؤمنين.

وهكذا شأن المخاوير، عليه أن يقبل الفكرة الصحيحة بغض النظر عن قائلها سواء كان قائلها صغيراً أو كبيراً، قريباً أو بعيداً، صديقاً أو عدواً فالعبرة باتباع الحق بغض النظر عن قائله.